أثر الاتجاه الكلامي
في آيات العقيدة
في تفسير البيضاوي

المسمى

(انوار التنزيل واسرار التأويل)

الدكتور

رائد محمود زيدان

كلية الإمام الأعظم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، قرة عين الاسلام والمسلمين، امامنا حبيبنا قدوتنا شفيعنا محمد ﷺ، وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحابته الاخيار الصالحين، وعلى من اتبع سنته وسلك شرعته إلى يوم الدين.

اما بعد:

أهمية الموضوع:

ان علم الكلام هو احد ابرز العلوم الاسلامية الذي يهتم بمباحث العقائد الاسلامية واثباتها بالأدلة العقلية والنقلية، وان المدارس التفسيرية (مدرسة التفسير بالأثر ومدرسة التفسير بالراي)، تطورت بكثرة المفسرين وتنوع مشاربهم فمنهم من له ميول اشعرية اي: كلامية كالإمام الرازي في تفسيره (التفسير الكبير) ومنهم من له ميول تصوفية نحو: تفسير التستري وهو لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري ت٢٨٣هـ وقد طبع بمطبعة السعادة بمصر عام ١٩٠٨هـ،[1] ومنهم من له ميول سلفية كالإمام بن كثير وبن جرير الطبري ومنهم من يخلط بين هذه الميول فيأتي بلون جديد من التفسير مثل روح المعاني للألوسي، ونجد ان الاخير يتوقف في بعض آيات الصفات ثم يأول في اخرى وهكذا بين المنهج السلفي والاشعري الكلامي، وانا باختياري لهذا الموضوع اردت ان اسهل على القارئ نوعا من انواع التفاسير بل اسلوب من اسلوب مفسر يتبع التفسير بالراي على نحو يسهل للقارئ والباحث الوصول إلى حقيقة ما آلت اليه بعض التأويلات لبعض

(١) ينظر مناهل العرفان في علوم القران، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط١، دار الفكر- لبنان - ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ج١٢، ص٦١.

الآيات الخاصة بالصفات الالهية.

وهذه الدراسة أظنها حرفية اي: دراسة معنية بآيات العقيدة وليس عليها طابع نقدي مخالف لتفسير البيضاوي.

وتظهر اهمية الموضوع في:

أولا: شخصية البيضاوي كمفسر للقران الكريم.

ثانيا: في الموضوعات والمباحث المتناولة بين ايدينا، ويمكن تجليها في:

أـ مفهوم الاتجاه الكلامي وأثره في تفسير البيضاوي.

ب ـ أثر الاتجاه الكلامي في تفسير البيضاوي في آيات العقيدة او آيات الصفات.

خطة البحث:

لقد اعتنيت في بحثي هذا بجوانب عدة تطلبها البحث وطبيعته وعنوانه ففي اول الامر قسمت البحث على ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الاول التعريف بالمفسر البيضاوي رحمه الله، وتناولت في المبحث الثاني مفهوم الاتجاه الكلامي، اما المبحث الثالث فهو أثر الاتجاه الكلامي في تفسير البيضاوي في آيات العقيدة أو آيات الصفات، ثم الخاتمة وفيها عرض ملخص لأهم النتائج التي توصلت لها، وقد ذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الاول:
التعريف بالبيضاوي(رحمه الله)

أولا: نسبه ونشأته

هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، كان اماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا ..ولي قضاء القضاة بشيراز ودخل تبريز وناظر بها

كنيته: ويكنى بأبي البقاء

ويلقب: بناصر الدين

ويعرف: بالقاضي.[1]

ولقب ايضا بالشيرازي نسبة إلى شيراز[2]

نشا في: دار إسفيد ومعناه بالفارسية باب أبيض وعرب بالمعنى، إلى (المدينة البيضاء) التي بفارس في أيام الفرس، سميت البيضاء لأن لها قلعة تبين من بعد ويرى بياضها[3]

وقد غاب عن المؤرخين تاريخ ميلاده فلم يذكروه في كتبهم ولم يشر أحد من المترجمين إلى تاريخ ولادته ولكن على التقريب فهو من علماء القرن السابع وولادته غالبا في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس واخذ العلم عن والده كما تتلمذ على شيوخ عصره في مختلف المجالات، القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة وعلومها، كما برع في علم

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو،ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، ج٨، ص١٥٧، ١٥٨.

(٢) ينظر: شذرات الذهب لأبن عماد، ج٥، ص ٣٩٣.

(٣) ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر- بيروت، ج٢، ص٤٤٧، ج١، ص٥٢٩.

الكلام والجدل والمنطق والتاريخ والفلسفة.[1]

ثانيا: ثناء العلماء عليه

إن البيضاوي وتفسيره كغيره من العلماء تناوله الباحثون والعلماء بالنقد والدراسة والتعليق فتتبعوا من خلال ذلك كل صغيرة أو كبيرة كانت له أو عليه وسأتناول مواطن الثناء في هذا الباب لمن أراد أن يستزيد جهده وسعيه في ذلك فانه كما نعلم لا يتصف بصفات الكمال إلا الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(وهذا كتاب عظيم الشأن غني عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الاشارات وضم اليه ما روى زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة فجلا رين الشك عن السريرة وزاده في العلم بسطة وبصيرة كما قال مولانا المنشي شعر أولو الالباب لم يأتوا بكشف قناع ما يتلى ولكن كان للقاضي يد بيضاء لا تبلى ولكونه متبحرا في ميدان فرسان الكلام فاظهر مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام كشف القناع تارة عن وجوه محاسن الاشارة وملح الاستعارة وهتك الاستار اخرى عن اسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها وترجمان الناطقة وبنائها فحل ما اشكل على الانام وذلل لهم صعب المرام)[2]

قال السبكي: (كان إماما مبرزا نظارا خيرا صالحا متعبدا)[3]

---

(١) الفتح المبين في طبقات الاصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، قام بنشره: محمد علي عثمان ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ج٢، ص٨٨.

(٢) كشف الظنون عن اساس الكتب والفنون، مصطفى عبد الله الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ج١، ص١٨٧.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية،ج٢، ص١٧٢.

ثالثا: شيوخه وتلاميذه

أ- شيوخه

تلقى البيضاوي العلم على كثير ممن عاصروه من علماء عصره في مختلف العلوم فدرس الفقه والقراءات واللغة والنحو والمنطق وغيرها، وكانت تبريز آنذاك قبلة العلماء في بلاد فارس ومن أشر شيوخه:

١. والده: أول ما نهل العلم من معين والده، تأثر بوالده وظهر ذلك في فتواه من خلال تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية، ومراعاتا للتسوية..[١]

٢. محمد بن محمد الكحتاني وقيل الكيخاني الصوفي: صحبه البيضاوي وأخذ عنه الطريق وأقتدى به في الزهد والعبادة.[٢]

٣. الخواجا نصير الدين الطوسي.

٤. شهاب الدين السهروردي.[٣]

ب - تلاميذه:

لاشك ما جليلا مثل البيضاوي وقد برع بمختلف العلوم أن يكون له حلقات للعلم يتلقى من خلالها طلاب العلم هذه العلوم، ولا شك أن له تلامذة من العدد يأخذون عنه بحيث انشغل المؤرخون عن ذكر أسمائهم لاهتمامهم بالبيضاوي ومن هؤلاء:

١. فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن الجاربردي

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي، ص٢٨٥.

(٢) ينظر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الخوانساوي الاصبهاني، منقحة ومصححة، الدار الاسلامية ـ بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٣) ينظر: م . ن، ج٥، ص١٢٩.

قال السبكي: (كان فاضلا دينا متفننا بالعلم شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه.. توفي ٧٤٦هـ)[١]

٢. كمال الدين أبو القاسم عمر بن إلياس بن يونس المراغي الصوفي توفي بعد ٧٣٢هـ، قراء عليه المنهاج والغاية القصوى والطوالع.[٢]

رابعا: وفاته

توفي البيضاوي بمدينة تبريز في إيران، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته فالسبكي والأسنوي رجحا سنة ٦٩١هـ،[٣] وابن كثير ٦٨٥هـ،[٤] وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على أنوار التنزيل أنه توفي ٧١٩هـ.[٥]

والمشهور والذي صححه المؤرخون سنة ٧١٩هـ،[٦]

ولتباين هذه الآراء يعول بالترجيح على رأي الجمهور من المؤرخين والله أعلم.

المبحث الثاني: مفهوم الاتجاه الكلامي

أولا: مفهوم الاتجاه الكلامي

هناك فرق بين المفهوم، والمعنى والمدلول:

اعلم انما يستفاد من اللفظ باعتبار أنه (فهم منه: يسمى مفهوما، وباعتبار أنه قصد

(١) طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص١٦٩.

(٢) ينظر: الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١٥، سنة ٢٠٠٢م، ج٧، ص٨١.

(٣) طبقات الشافعية، ج٢، ص١٧٢.

(٤) البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر القريشي ابو الفداء، مكتبة المعارف ـ بيروت، ج١٣، ص٣٠٩.

(٥) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، احمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي(ت١٠٦٩هـ) الطبعة الخديوية ١٢٨٣هـ، دار صادر ـ بيروت، ج١، ص٣٠٤.

(٦) م. ن.

منه يسمى: معنى، وباعتبار ان اللفظ دال عليه، يسمى مدلولا. ولا يخفى انها فروق اعتبارية).[1]

المفهوم في اللغة: (معرفة الشيء بالقلب، فهمه فهما وفهما وفهامة، وفهمة الشيء: عرفته وفهمت فلانا وأفهمته وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء، ورجل فهم: سريع الفهم وأفهمه الامر وفهمه إياه جعله يفهمه.)[2]

المفهوم (مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كلي)[3]

التعريف (تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة)[4]

ومعنى هذا ان المفهوم يكون شاملا، وواسعا، ومعتمدا على ما يتم استيعابه عن طريق العقل. اما التعريف فهو توصيف لشيء محدد ودقيق ومتفق عليه إلى حد ما.

ثانيا: أثر الاتجاه الكلامي في تفسير البيضاوي

أ- يجب أن نفهم الأثر من ناحية اللغة والاصطلاح

فمن ناحية اللغة له عدة مفاهيم لغوية: فوردت مادة أثر وما يتصرف عنها على معاني كثيرة:

(وردت مادة أثر بمعنى، أثر، أي: بقية الشيء والجمع وآثار وأثور.... وفي أثره أي: بعده، وأثرتهوتأثرته تتبعت أثره... والتأثير إبقاء الأثر في الشيء... وفي الحديث عن أبي هريرة t قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري الحسن بن عبد الله عبد سهل(ت ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه، محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة ـ القاهرة، سنة١٩٣٥م، ص٨٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور، ١٩٨٦، ج١٢، ص٤٥٩.

(٣) المعجم الوسيط (١+٢)، ابراهيم مصطفى/ احمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج٢، ص٧٠٤.

(٤) م . ن، ج٢، ص٥٩٥.

لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))[1] والأثر: أصله من أثر مشيه في الأرض فإن مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه في الارض أثر، ـ ومن المفاهيم اللغوية ـ قوله ﷺ للذي مر بين يديه وهو يصلي قطع صلاتنا قطع الله أثره ودعا عليه بالزمانة لأنه اذا زمن انقطع مشيه

عَنْ يَزِيدَ بْنِ نِمْرَانَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا بِتَبُوكَ مُقْعَدًا، فَقَالَ: مَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا عَلَى حِمَارٍ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اقْطَعْ أَثَرَهُ)) فَمَا مَشَيْتُ عَلَيْهَا بَعْدُ.[2]

والجمع آثار ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾[3]

أي: نكتب ما أسلفوا من أعمالهم... وسنن النبي ﷺ وآثاره... وأثارة من علم، وأثرة من علم، وأثارة، قال الزجاج: أثارة في معنى علامة ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم...ويجوز أن يكون على ما يؤثر من العلم أو شيء مأثور... فمن قرأ: أثارة، فهو المصدر مثل السماحة، ومن قرأ: أثرة فإنه بناه على الأثر... والأثر والإثر والأثر، على فعل، وهو واحد ليس بجمع: فرند السيف ورونقه، والجمع أثور... وأثر الوجه، وأثره ماؤه ورونقه، وأثر السيف، ضرته، وأثر الجرح أثره يبقى بعدما يبرأ الصحاح، والأثر بالضم أثر الجرح يبقى بعد البرء... وقال الأصمعي: الأثر، بضم الهمزة، من الجرح وغيره في الجسد يبرأ ويبقى أثره.)[4]

---

(١) الجامع الصحيح المختصر، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، اليمامة ـ بيروت، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧، ط٣، كتاب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم الحديث٥٦٣٩، ج٥، ص٢٢٣٢.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، كتاب الصلاة، باب ما يقطع الصلاة، رقم الحديث٧٠٥، ج١، ص١٨٨.

(٣) سورة يس، من الآية: ١٢.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري(ت٧١١م)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد بن احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف ـ القاهرة، طبعة جديدة ومنقحة،

ب- أما في المعنى الاصطلاحي

ففيه قولان:

(الأثر له ثلاثة معان الأول بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء والثاني بمعنى العلامة والثالث بمعنى الجزء)[1]

والذي يعنينا من تعريف الجرجاني هو الاول الذي يعني بالنتيجة التي تظهر بعد الأثر.

١. هو مرادف للحديث: أي: أن معناهما واحد، فيكون تعريفه بناء على ذلك كتعريف الحديث، وهو: ما أضيف للنبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة.

(وعند فقهاء خراسان يسمى الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر)[2]

وعند المحدثين كل هذا يسمى أثرا، من أثرت الحديث، وروايته وقال السيوطي في التدريب أيضا: (ويسمى المحدث أثريا، نسبة للأثر)

٢. هو مغاير للحديث: يعني أن المراد بالأثرغير المراد بالحديث فيكون تعريف الأثر- على هذا القول- هو: (ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال)[3]

الأتجاه: (هو تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، والاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير، والتي تتكون على أساس عقائد واحتياجات وذوق وتخصص المفسر)[4]

مادة أثر،ج٤، ص٢٥، ٢٦، ٢٧.

(١) التعريفات، ج١، ص٢٣.

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، ـ الرياض، النوع السابع الموقوف، ج١،ص١٨.

(٣) ينظر:علوم الحديث لابن الصلاح:٤٢، التقريب للنواوي مع تدريب الراوي للسيوطي:١٠٩، نزهة النظر:٣٧، (بتحقيق: د. عبد الله الرحيلي)، تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان، الجزائر دار حلب، ص١٨.

(٤) ينظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمد علي الرضائي، تعريب قاسم البيضاني، ص١٨ ـ ١٩، المركز العلمي للدراسات الاسلامية، قم، ١٤٢٦هـ.

ولأن تفسير البيضاوي يعتبر من أهمّ كتب التفسير بالرأي، وهو مختصر عن كتاب (الكشاف) الزمخشري) مع ترك ما فيه من اعتزالات، كما استمدّه من (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي فقد لخص منه الحكمة والكلام، وقد تأثر البيضاوي بطريقة عرضه للآيات الكونية ومباحث الطبيعة، وكذلك من تفسير الراغب الأصبهاني الحسين بن محمد بن المفضل المسمى (تحقيق البيان في تأويل القرآن) لطائف الاشارات.[1]

لذلك كان في هذا التفسير التأثير الكلامي واضحا في ثنايا بيان البيضاوي لمعاني الآيات القرآنية الكريمة تفسيرا بالرأي أي: (العقلي) فأعطى صبغة كلامية اخآذةللقارئ حيث إنه ضمن كتابه نكتا بارعة، واستنباطات بإسلوب عقلي موجز، فنراه يعرض مذهبه الكلام في التفسير والاتجاه الكلامي في تفسير القرآن يظهر من خلال تعداد أشهر المدارس الكلامية، وان يدرك أهم الموضوعات التي كانت مورد بحث في التفاسير الكلامية. كتفسير آيات العقائد (الاسماء والصفات)، والمتشابه من القرآن.

المبحث الثالث:

أثر الاتجاه الكلامي في تفسير البيضاوي في آيات العقيدة أو آيات الصفات

إنتهج البيضاوي اسلوب التأويل، وسلك مسلك الذين أولوا آيات الصفات.

فأول كثيرا من الآيات التي وردت فيها صفات الله تعالى،[2] ومن هذه الآيات:

١. الآيات الدالة بظاهرها على الجهة

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي (ت ٦٩١هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي بيروت، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، ج١، ص٥.

(٢) ينظر: البيضاوي ومنهجه في التفسير، ص٩٣.

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[1]

(تصوير لقهره وعلوه بغلبة والقدرة)[2]

تصوير القهر بالفوقية والقدرة على الغلبة أعطى مسوغا للتأويل بعدم فوقية المكان وإنما فوقية الرتبة وهي من المنازل الاعتبارية التي يحملها الذهن فهما وعلما دون أن يكون لها حقيقة مادية ملموسة سوى الاعتبار.

(الِاعْتِبَار: هُوَ مَأْخُوذ من العبور والمجاوزة من شَيْء إِلَى شَيْء، وَلِهَذَا سميت الْعبْرَة عِبْرَة والمعبر معبرا وَاللَّفْظ عبارَة وَلِهَذَا قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: الِاعْتِبَار هُوَ النّظر فِي حقائق الْأَشْيَاء وجهات دلالتها ليعرف بِالنّظرِ فِيهَا شَيْء آخر من جِنْسهَا.

وَقيل: الِاعْتِبَار هُوَ التدبر وَقِيَاس مَا غَابَ على مَا ظهر وَيكون بِمَعْنى الاختبار والامتحان وَبِمَعْنى الِاعْتِدَاد بالشَّيْء فِي ترَتّب الحكم نَحْو قَول الْفُقَهَاء: الِاعْتِبَار بالعقب أَي الِاعْتِدَاد فِي التَّقَدُّم بِهِ وَالِاعْتِبَار عِنْد الْمُحدثين: أَن تَأْتِي إِلَى حَدِيث لبَعض الروَاة فتعتبره بروايات غَيره من الروَاة لسير الحَدِيث لتعرف هَل شَاركهُ فِيهِ غَيره

وَالِاعْتِبَار يُطلق تَارَة وَيُرَاد بِهِ مُقَابل الْوَاقع، وَهُوَ اعْتِبَار مَحْض يُقَال: هَذَا أَمر اعتباري: أَي لَيْسَ بِثَابت فِي الْوَاقِعوَقد يُطلق وَيُرَاد مَا يُقَابل الْمَوْجُود الْخَارِجي؛ فالاعتبار بِهَذَا الْمَعْنى اعْتِبَار الشَّيْء الثَّابِت فِي الْوَاقع، لَا اعْتِبَار مَحْض وَالْوَاقع هُوَ الثُّبُوت فِي نفس الْأَمر مَعَ قطع النّظر عَن وُقُوعه فِي الذِّهْن وَالْخَارِج.)[3]

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٨.

(٢) تفسير البيضاوي، ج٢، ص١٥٧.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريميالكفوي الحنفي،ت ١٠٩٤هـ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت،- ١٤١٩ه- ١٩٩٨م، ص١٤٧.

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]

(يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر)[2]

وهنا البيضاوي يصور ويأول الفوقية ايضا بمعنى بعيد عن المكان والمنزل يل إلى معنى اصطلاحي كلامي واضح الدلالة وهو التخويف بالرتبة لا بالمكان المحض.

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[3]

(ثم اشار إلى وجهه احداث الكائنات وتدبير أمرها بأن قصد العرش فأجرى منه الاحكام والتقادير وأنزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته)[4]

لا بد ان يكون للإتجاه الكلامي الأثر الواضح في منهج البيضاوي وخاصة في آيات العقيدة، فهنا أول البيضاوي الاستواء على العرش بالقصد مع إنها تحمل اكثر من معنى فاختار القصد لمناسبة العرش مع إجراء الاحكام والتراتيب المتعلقة بها من الحكم وغيره...

(استوى استقام واعتدل، استوى بمعنى نضج، وبمعنى علا أو فوقه، وبمعنى صعد، وبمعنى استقر وثبت، وَعَلِيهِ اسْتَوَى وَملك وَيُقَال اسْتَوَى على سَرِير الْملك أَو على الْعَرْش تولى الْملك وَإِلَيْهِ قصد وَتوجه لَا يلوي على شَيْء)[5]

٢. الآيات الدالة بظاهره على الذات أو الجارحة أو الصورة

(١) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٢) تفسير البيضاوي، ج٣، ص٢٢٩.
(٣) سورة طه، الآية: ٥.
(٤) تفسير البيضاوي، ج٤، ص٢٣.
(٥) المعجم الوسيط(١ + ٢)،ج١، ص٤٦٦.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[1]

فسر البيضاوي الوجه بقوله: (جهته التي أمر بها فإن إمكان التولية لا يختص بمسجد أو مكان، فثم ذاته أي: هو عالم مطلع بما يفعل فيه)[2]

أي: ان البيضاوي أول الوجه هنا، مبينا أن التولية إليه بالعلم والاطلاع بأفعال العباد.

﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[3]

(يدعون ربهم مخلصين فيه، قيد الدعاء بالإخلاص للدلالة على أنه ملاك الأمر)[4]

وهذا كان المعنى الدلالي للوجه هو الاخلاص وهوغير التأويل للوجه المقصود للذات الالهية، أو الجهة حسب مقتضيات المعنى في الآية القرآنية والقرائن الموجودة.

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[5]

(ذاته ولو استقريت جبهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله أي: الوجه الذي يلي جهته)[6]

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[7]

(لتربى ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك... أي: وليكن عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري)[8]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٢) تفسير البيضاوي، ج١، ص٣٨٧.
(٣) سورة الانعام، من الآية: ٥٢.
(٤) تفسير البيضاوي، ج٢، ص١٦٣.
(٥) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.
(٦) تفسير البيضاوي، ج٥، ص١٧٢ .
(٧) سورة طه، من الآية: ٣٩.
(٨) تفسير البيضاوي، ج٤، ص٢٧.

وهنا لا وجود للأثر الكلامي في تفسير معنى (عيني) لأنه حتى أهل الأثر (كإبن كثير مثلا) وغيره في تفاسيرهم قالوا بنحو ما قال البيضاوي وذلك لأن سياق الآية الكريمة يدلل على معنى الحفظ والرعاية والمراقبة لا على معنى عين الذات.[1]

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[2]

(في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ)[3]

﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾[4]

(بمرآى منا أي: محفوظة بحفظنا)[5]

﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[6]

(خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم، والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرأ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم أو بأنه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا إذ للسيد أن يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص)[7]

فأول البيضاوي ذكر اليدين بمزيد القوة والقدرة.. أو أول الايدي بما يستخدم من

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، اسماعيل عمر بن كثير الدمشقي ابو الفداء، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠١ ، ج٣، ص١٤٨.
(٢) سورة الطور، الآية: ٤٨.
(٣) تفسير البيضاوي، ج٥، ص١٥٦.
(٤) سورة القمر، الآية: ١٤.
(٥) تفسير البيضاوي، ج٥، ص١٦٥.
(٦) سورة ص، من الآية: ٧٥.
(٧) تفسير البيضاوي، ج٥، ص٣٤.

العبيد وليس عين اليد وبين أنه لا مانع من استخدام الملائكة في أمرهم بالخلق وهو مزيد اختصاص له سبحانه...

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[1]

(مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا وذكر الأيدي وإسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالإحداث)[2]

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[3]

(يوم يشتد الأمرويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب)[4]

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[5]

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله لأنه المقصود ببيعته يد الله فوق أيديهم حال أو استئناف مؤكد له على سبيل التخييل)[6]

هنا أثر الإتجاه الكلامي كان بينا وواضحا فالمذكور هنا اليد التي هي عين الذات بينما أولها البيضاوي إلى حال آخر وهو تحقيق البيعة من خلال وجود الحال لا عين الذات الحقيقية.

---

(١) سورة يس، الآية: ٧١.
(٢) تفسير البيضاوي، ج٤، ص٢٧٣.
(٣) سورة القلم، الآية: ٤٢.
(٤) تفسير البضاوي، ج٥، ص٢٣٧.
(٥) سورة الفتح، من الآية: ١٠.
(٦) تفسير البيضاوي، ج٥، ص١٢٧.

﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1]

(تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخيل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرىء بالنصب على الضرف تشبيها للمؤقت المبهم)[2]

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[3]

(إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم)[4]

هنا أول البيضاوي الوجه بالذات الالهية فلا يصح بقاء الجزء وموت الكل فهذا من النقصان وليس من الكمال فالله ﷻ هو القيوم وهو الحي وصفة الحي والقيومية عند الله مخالفة ما عند غيره وهذا يقتضي بقاء ذاته لا فناءها.

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[5]

(في جانبه أي: في حقه وهو طاعته ... وقيل ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه)[6]

(١) سورة الزمر، من الآية: ٦٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج٥، ص٤٨.
(٣) سورة القصص، من الآية: ٨٨.
(٤) تفسير البيضاوي، ج٥، ص٢٠١.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٥٦.
(٦) تفسير البيضاوي، ج٥، ص٤٦.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾[1]

(إرادة القول بلسان الحال أو المقال إزاحة بتوهم المن وتوقع المكافئة المنقصة للأجر.)[2]

٣. الآيات الدالة بظاهرها على الذات.

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[3]

(فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه، وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي النهي في القبح وذكر النفس، ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة...)[4]

وهذا من الاحوال النفسية التي تكون متغيرة عند المخلوقين وثابته عند الله، أي: تلحقها الحداثة والابتداء، وفي حق الله تعالى أزلية بأزلية الله، وذكرها هنا بمعنى الوعيد الأزلي للمخالفين عن أمره ونهيه.

٤- الآيات الدالة بظاهرها على الجسمية

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ ﴾[5]

(أي: فقل لهم إني قريب، وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم،

(روي: أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت

---

(١) سورة الانسان، الآية: ٩.

(٢) تفسير البيضاوي، ج٥، ص٢٧٠.

(٣) سورة ال عمران، من الآية: ٢٨.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

الآية...)[1] تقرير للقرب. ووعد للداعي بالإجابة.)[2]

﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[3]

أي: (قريب الرحمة)[4]

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[5]

(أي: ونحن أعلم بحله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه.[6]

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[7]

(أي: ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته)[8]

وهنا البيضاوي أول المجيء بظهور آيات القدرة والقهر فكما إن الملائكة جاءت وظهرت فان الله سبحانه جاء وظهر ولكن هذا المجيء يختلف عن مجيء الملائكة وظهر بظهور يختلف عن ظهور الملائكة فهي اذا آيات القدرة وآيات القهر للعباد يوم القيامة...

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾[9]

---

(١) الثقات، محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين احمد، دار الفكر- ١٣٩٥ - ١٩٧٥، ط١، باب العين، ج٨، ص٤٣٦.

(٢) تفسير البيضاوي، ج١، ص١٢٥.

(٣) سورة هود، من الآية: ١٨٦.

(٤) تفسير البيضاوي، ج٣، ص١٣٩.

(٥) سورة ق، من الآية: ١٦.

(٦) تفسير البيضاوي، ج٥، ص١٤٠، ١٤١.

(٧) سورة الفجر، الآية:٢٢.

(٨) تفسير البيضاوي، ج٥، ص٣١١.

(٩) سورة الانعام، من الآية: ١٥٨.

(أي: أمر بالعذاب أو كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي)[1]

وهنا نرى البيضاوي يأول الإتيان لله سبحانه هو الامر بالعذاب لأن السياق القرآني للآية يبين ذلك المعنى.

﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[2]

(قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالات بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك)[3]

٥ـ الآيات الدالة بظاهرها على الأحوال.

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[4]

(أي: يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط بكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة)[5]

وصفة الرضا في قوله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾[6]

(بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم)[7]

وصفة (الرحمة) في آيات كثيرة.

﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾[8]

(١) تفسير البيضاوي، ج٣،ص٩٥.
(٢) سورة المائدة، من الآية:٢٤.
(٣) تفسير البيضاوي، ج٢، ص١٢٢.
(٤) سورة ال عمران، الآية: ٣١.
(٥) تفسير البيضاوي، ج٢، ص١٣.
(٦) سورة المائدة من الآية: ١٩.
(٧) تفسير البيضاوي، ج٣، ص٩٥.
(٨) سورة الرحمن، الآية: ٣١.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾[1]

(أي: سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فإنه تعالى لا يفعل فيه غيره.)[2]

(تنبها على إن بطشه عبارة عن تصرفه في بدنه وإعادته وجميع تصرفاته في مخلوقاته.)[3]

٦ـ الآيات الدالة على الرؤية.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]

(تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه... وقيل منتظرة إنعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر، وأن المستعمل بمعناه لا يتعدى بإلى)[5]

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[6]

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى المثوبة الحسنى. وَزِيادَةٌ وما يزيد على المثوبة تفضلاً لقوله: وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر، وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان، وقيل الحسنى الجنة والزيادة هي اللقاء.)[7]

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا

(١) سورة البروج، الآية: ١٢، ١٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج٥، ص١٣٧.
(٣) تفسير البيضاوي، ج٥، ص٣٠١.
(٤) سورة القيامة، الآية: ٢٢، ٢٣.
(٥) تفسير البيضاوي، ج٥، ص٢٦٧.
(٦) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٧) تفسير البيضاوي، ج٣، ص١١٠.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[1]

(أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك، أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك. وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال، وخصوصاً ما يقتضي الجهل بالله ﷻ ولذلك رده بقوله تعالى: لَنْ تَرانِي... أو لن تنظر إليَّ، تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد، وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا: اجْعَلْ لَنا إِلهاً ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبداً وأن لا يراه غيره أصلاً فضلاً عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية. قالَ لَنْ تَرانِي وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه، وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضاً دليل على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن...)[2]

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[3]

(لاَّ تُدْرِكُهُ أي: لا تحيط به. الْأَبْصارُ جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث إنها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف، إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاماً في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الأشخاص، فإنه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع أن النفي لا يوجب الامتناع. وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ يحيط علمه بها. وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فيدرك ما لا تدركه الأبصار

(١) سورة الاعراف، الآية: ١٤٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج٣، ص٣٣.
(٣) سورة الانعام، الآية: ١٠٣.

كالأبصار، ويجوز أن يكون من باب اللطف أي: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير، فيكون اللطيف مستعاراً من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها.)[1]

ومن المتشابه أوائل السور، والمختار فيها- أنها من الاسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى أوائل السور المقطعة في القرآن.

فمثلا أوائل سورة البقرة: (افتتحت السورة بطائفة منها إيقاظاً لمن تحدى بالقرآن وتنبيهاً على أن أصل المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه، وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز... وقيل: هي أسماء للسور، وعليه إطباق الأكثر... لم لا يجوز أن تكون مزيدة للتنبيه؟ والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر؟ كما قاله قطرب، أو إشارة إلى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله: قلتُ لها قفي فقالتْ قَافْ. كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: الألف آلاء الله، واللام لفظه، والميم ملكه. وعنه أن (الر) (وحم) و(ن) مجموعها الرحمن. وعنه أن (الم) معناه: أنا الله أعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح. وعنه أن (الألف) من الله، (واللام) من جبريل، و(الميم) من محمد أي: القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمدﷺ، أو إلى مدد أقوام وآجال بحساب الجمل كما قال أبو العالية متمسكاً بما روي: (أنه ﷺ لما أتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة. فحسبوه وقالوا: كيف ندخل في دين مدته إحدى وسبعون سنة، فتبسم رسول الله ﷺ فقالوا: فهل غيره، فقال: (المص) و(الر) و(المر)، فقالوا: خلطت علينا فلا ندري بأيها نأخذ) فإن تلاوته إياها بهذا الترتيب

(١) تفسير البيضاوي، ج٢، ص١٧٦.

عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك، وهذه الدلالة وإن لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس... أو دلالة على الحروف المبسوطة مقسماً بها لشرفها من حيث إنها بسائط أسماء الله تعالى ومادة خطابه.

هذا وإن القول بأنها أسماء السور يخرجها ما ليس في لغة العرب، لأن التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستكره عندهم ويؤدي إلى اتحاد الاسم والمسمى، ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث إن الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة...)[1]

بينما نلاحظ ان رأي البيضاوي على هذه الاحرف التي في أوائل السور واضح والتأويل للأحرف كان مقيد لما آثره عن السابقين له في مجال التفسير أو ما صح عن الصحابة..

فيقول البيضاوي: (إن هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث إنها فواتح السور، ولا يقتضي ذلك أن لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم، أما الشعر فشاذ، وأما قول ابن عباس، فتنبيه على أن هذه الحروف منبع الأسماء ومبادئ الخطاب وتمثيل بأمثلة حسنة، ألا ترى أنه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير، وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها إذ لا مخصص لفظاً ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات، والحديث لا دليل فيه، لجواز أنه ﷺ تبسم تعجباً من جهلهم، وجعلها مقسماً بها وإن كان غير ممتنع لكنه يحوج إلى إضمار أشياء لا دليل عليها، والتسمية بثلاثة أسماء إنما تمتنع إذا ركبت وجعلت اسماً واحداً على طريقة بعلبك، فأما إذا نثرت نثر أسماء العدد فلا... وقيل إنه سر استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه، ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله تعالى ورسوله ﷺورموز لم يقصد بها إفهام غيره إذ يبعد

(١) تفسير البيضاوي، ج١، ص٣٤، ٣٥.

الخطاب بما لا يفيد. فإن جعلتها أسماء الله تعالى، أو القرآن، أو السور كان لها...)[1]

نجد أن البيضاوي قد طغت عليه المدرسة الكلامية من خلال تفسيره للقرآن وخاصة بالآيات المتعلقة بالعقيدة كآيات الصفات الخبرية التي وردت فيها صفات الله نحو الاستواء والنزول والمجيء وغير ذلك من الأحرف المقطعة... وجميعها تعتبر من المتشابه من القرآن الكريم، ويلاحظ أن البيضاوي انتهج اسلوب التأويل لها وهو منهج المتكلمين في التفسير.[2]

(١) تفسير البيضاوي، ج١، ص٣٤، ٣٥.

(٢) ينظر البيضاوي ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه للطالب يوسف احمد علي،، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى – كلية الشريعة، اشراف الاستاذ الدكتور: محمد شوقي خضر، ص٩١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله النبي الامين، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك وبعد:

فبعد أن وصلت إلى نهاية هذا البحث، الذي عرضت فيه باختصار شخصية البيضاوي، وبينت آرائه في آيات العقيدة أو آيات الصفات وبينت أثر الإتجاه الكلامي في ذلك، والتي أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيها، فإنني قد توصلت من خلال البحث إلى نتائج عدة أجملها فيما يأتي:

١. تظهر أهمية البحث من خلال شخصية البيضاوي كمفسر للقرآن وعالم في اللغة والاصول... ثم توليه القضاء بشيراز وهو منصب إن دل على شيء فإنما يدل على علميته بالفقه والاصول.

٢. ويمكن اعتبار تفسير البيضاوي من أهم كتب التفسير بالرأي وهو مختصر عن كتاب الكشاف(للزمخشري) مع ترك ما فيه من اعتزالات، وقد وضع فيه المبادئ التي يبني الاشاعرة عليها مبادئهم في علم الكلام ومنها تأويل آيات الصفات.

٣. ثم إن البيضاوي يثبت الصفات لله تعالى كالوجه، واليدين، والعينين، والاستواء وغيرها.والله أعلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي (ت ٦٩١هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي بيروت، طبعة جديدة مصححة ومنقحة.

٢. الاعلام قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، طبعة ١٥، ٢٠٠٢م.

٣. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف ـ بيروت.

٤. البيضاوي ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه، للطالب يوسف أحمد علي، المملكة العربية السعودية ـ جامعة أم القرى ـ كلية الشريعة، إشراف الاستاذ الدكتور: محمد شوقي خضر.

٥. التعريفات.

٦. تفسير القرآن العظيم، اسماعيل عمر بن كثير الدمشقي ابو الفداء، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠١.

٧. التقريب للنواوي مع تدريب الراوي للسيوطي.

٨. – الثقات، محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين احمد، دار الفكر ـ ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥.

٩. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي

(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، اليمامة ـ بيروت، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧.

١٠. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، احمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي(ت١٠٦٩هـ) الطبعة الخديوية ١٢٨٣هـ، دار صادر ـ بيروت.

١١. دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمد علي الرضائي، تعريب قاسم البيضاني، ص١٨ ـ ١٩، المركز العلمي للدراسات الاسلامية، قم، ١٤٢٦هـ.

١٢. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الخوانساوي الاصبهاني، منقحة ومصححة، الدار الاسلامية ـ بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٤. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ، ط٢.

١٥. علوم الحديث لإبن الصلاح:٤٢، ، نزهة النظر:٣٧، (بتحقيق: د. عبد الله الرحيلي).

١٦. الفتح المبين في طبقات الاصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، قام بنشره: محمد علي عثمان ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م، مطبعة أنصار السنة المحمدية.

١٧. الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري الحسن بن عبد الله عبد سهل(ت ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه، محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة ـ القاهرة، سنة١٩٣٥م.

١٨. كشف الظنون عن اساس الكتب والفنون، مصطفى عبد الله الرومي الحنفي الشهير

بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٩. - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريميالكفوي الحنفي،ت ١٠٩٤هـ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت،- ١٤١٩ه- ١٩٩٨م.

٢٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري(ت٧١١م)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد بن احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف ـ القاهرة، طبعة جديدة ومنقحة.

٢١. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر- بيروت.

٢٢. مناهل العرفان في علوم القران، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط١، دار الفكرـ لبنان ـ١٤١٦هـ ـ١٩٩٦م.

٢٣. المعجم الوسيط (١+٢)،ابراهيم مصطفى/ احمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمدالنجار، دارالدعوة،تحقيق: مجمع اللغة العربية.